■ الدراسة الثانية :

سوريا على مفترق طرق

بقلم : ايتمار رابينوفيتش

التحدي الأول أمام السلطة أو الحكم السوري ، هو حزب البعث السوري نفسه، وذلك للمرة الأولى منذ ما يزيد عن أربعين عامًا، على اعتبار أنه من الممكن أن تأتي التهديدات ، أو القلق من الداخل، كما أن الرئيس السوري ، بشار الأسد ، قد خلَّف، والده حافظ الأسد، من داخل حزب البعث ، في يونيو ٢٠٠٠، رغم أن عائلة الأسد من طائفة قليلة العدد في سوريا، وهي الطائفة العلوية، لكنه في الوقت نفسه استطاع أن يملأ مكانه، أو يسد الفراغ الذي تركه الأسد الكبير أمام السوريين في الداخل ، وخارج سوريا، أيضًا.

واجهت سوريا تحديات جمة خلال العشر سنوات الماضية، نتيجة لأن دمشق فقدت حليفًا مهمًا ممثلاً في الاتحاد السوفييتي بعد الحرب الباردة ، وانهيار السوفييت ، وابتعاد دمشق عن العالم أو ووقعها في منطقة محصورة ، ومحاصرة ، وعدم خروجها منها إلا مؤخرًا ، فقد سبق وأن انتهجت سياسات فاشلة مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية السابقة ، فالعلاقات بين الطرفين الأمريكي والسوري ، كانت علاقات متباينة ، أو يسودها التوتر في فترات كبيرة . في حين بدأ دفء العلاقات بين الجانبين الإيراني والسوري ، في عام ١٩٧٩ بعد اندلاع الثورة الإسلامية ، أو الخومينية ، بإقامة حلف استراتيجي بين البلدين، لكن توطدت العلاقة بينهما أكثر في السنوات الأخيرة ، حينما أقام الأسد الابن علاقات استراتيجية ، وحلفًا عسكريًا مع إيران ، وتوسعت وتعززت العلاقات الخارجية السورية ، وربما كان لهذا

التحالف الإيراني أثرًا ايجابيًا على هذا التعزيز ، وعانت دمشق من توتر في علاقاتها بالعالم العربي ، فأغلبية الدول العربية ربما عانت معها من هذا التوتر ، نتيجة لانضمامها للمعسكر الإيراني ، أو المعسكر المتشدد .

في عام ١٩٩١ – قمة مدريد- بدأ مسار السلام بين إسرائيل وسوريا على هامش مسار السلام بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني ، فخلال الأعوام ال ١٧ الماضية لم يتقدم مسار السلام بينهما ، في حين بدأت ملامح التقدم منذ عامين ، ولكن بوساطة تركية .

وحول علاقة سوريا بجيرانها ، نوضح التالي :

■ **إسرائيل :**

حاول بشار الأسد أن يقوى ويعزز موقفه على حساب هضبة الجولان ، فيعمد الأسد الصغير على استعادة الجولان إلى أحضان السوريين ، التي فقدها والده حافظ الأسد ، حينما كان وزيرًا للدفاع إبان حرب الأيام الستة ، فيعتقد الأسد الابن ضرورة إقامة معاهدة سلام مع الإسرائيليين ، مع استخدام أو إتباع الطرق الدبلوماسية ، فحسب ، وفي حال فشل الطرق الدبلوماسية فما عليه إلا أن يلجأ إلى الحلول العسكرية ، كما أن الأسد يعزز موقفه ، حاليًا ، بمساندة حزب الله له ، ومساندته للحزب في نفس الوقت ، وكذلك لإيوائه المنظمات الفلسطينية ، كورق ضغط على إسرائيل يحاول أن يستغلها جيدًا ، فسنوات التسعينيات من القرن الماضي شهدت إلى حد ما تقدمًا حيال اتفاق بين الجانبين السوري والإسرائيلي ، لكن منذ عامين فقط ، بدأت المباحثات غير المباشرة ، وإن كانت دون جدوى تذكر ، لأن إسرائيل ليست معنية باتفاق « الجولان مقابل اتفاق سلام » ، ولكن تل أبيب ترى أن الاتفاق يكون على النحو التالي « الجولان مقابل اتفاق سلام ، واتفاقات

استراتيجية جديدة » ، وتعني إسرائيل بذلك تفكيك التحالف الاستراتيجي بين الطرفين الإيراني والسوري ، وكذلك مع حزب الله ، والمنظمات الفلسطينية المعارضة ، وهو يشبه موقف الرئيس الأمريكي ، باراك اوباما .

كانت كل من الإدارتين الأمريكية والإسرائيلية ترغبان في إدارة المفاوضات بين الطرفين الإسرائيلي والسوري ، على هذا الأساس ، في عام ٢٠٠٩ ، على أن تكون هناك تفاهمات جديدة واتفاقات جديدة تُمكِّن سوريا بعدها من تحسين العلاقات مع الإدارة الأمريكية ، كما سبق وأن فعل الرئيس المصري الراحل، محمد أنور السادات ، وفي سبتمبر من عام ٢٠٠٧ اتضح للعالم انه كي يقوم الأسد باتفاق سلام مع إسرائيل ، عليه أن يهدم المفاعل النووي السوري الذي قام بمساعدة من كوريا الشمالية ، وهو المفاعل الذي دمر على يد سلاح الجو الإسرائيلي ، في السابع من سبتمبر من نفس العام ، وحافظ الأسد على هدوءه ، ولكن يعد هذا الحادث نقطة فاصلة في الصراع الإسرائيلي – السوري .

■ لبنان :

اعتبرت سوريا لبنان منذ سنوات السبعينيات من القرن الماضي جزءًا من الأراضي السورية الكبرى ، أو منطقة تابعة لنفوذها الإقليمي ، أو محافظة تابعة لها ، أو جزء أخر للضغط من خلاله على إسرائيل ، كما أن المصالح المشتركة في لبنان هي جزء مهم ومعقد من العلاقات السورية – الإيرانية ، وكذلك العلاقات الإيرانية مع حزب الله ، وبين سوريا وحزب الله ، أيضًا ، ، كما تعتبر لبنان مخزنًا للأسلحة الإيرانية قبالة إسرائيل ، سواء للدفاع أو للهجوم ، وفي الرابع عشر من فبراير ٢٠٠٥ ، بعيد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق ، رفيق الحريري ، اضطرت سوريا إلى انسحاب قواتها العسكرية من لبنان بين عشية وضحاها ، لكن حافظت

على توازنها السياسي مع لبنان عبر فتح الحدود بين البلدين ، كما يجب الإشارة إلى إنه خلال فترة الرئيس بشار الأسد ، عمَّقت سوريا علاقتها مع حزب الله بدرجة كبيرة ، وغير معهودة ، حتى وصلت إلى تحالف استراتيجي .

■ تركيا :

بعد عشرات السنوات من الفتور في العلاقات التركية - السورية ، توطدت العلاقات بين البلدين خلال العامين الماضين، فملف الأكراد كان من بين الملفات ، التي وطدت وعززت هذا التحالف ، وإن كان الرئيس حافظ الأسد قد عالج هذا الملف في مهده منذ سنوات طويلة ، لكن الأسد الابن عالج بدوره ملف الاسكندرونه مع تركيا بتنازله عن المدينة ، ومن جانب الأتراك فأنهم يميلون ، حاليًا، إلى توطيد علاقاتهم بعالم الشرق الأوسط والدول العربية بعد هروبهم ، أو تجميد علاقتهم ، مؤقتًا، بالعالم الأمريكي والغربي ، كما أنه بدون شك تحاول تركيا التوسط بين الطرفين الإسرائيلي والسوري ، وتستخدم نفوذها ، وقوتها في هذا الإطار .

■ العراق :

كان الرئيس الأسد رافضًا للاجتياح الأمريكي لجارته العراق ، ورافضًا لبقاء القوات الأمريكية فيها ، حتى الآن ، أو أن يكون للولايات المتحدة أي قواعد عسكرية على الأراضي العراقية ، أو في أي مكان بمنطقة الشرق الأوسط ، بشكل عام، أو تواجد قوات تقلق راحة سوريا ، وتسبب المشاكل للسوريين ، كما أن الرئيس الأسد كان رافضًا ومعاديًا لسياسات الرئيس الأمريكي السابق ، جورج بوش ، الذي كان على عداء دائم مع السوريين ، فالإدارة الأمريكية كانت، غالبًا، ما تتهم سوريا بدعم الجماعات « الإرهابية » الإسلامية السنية التي تدخل إلى العراق

عبر الحدود السورية – العراقية ، وتعتبر هذه التهمة السبب الرئيسي لتوتر العلاقات بين إدارة بوش السابقة ، وبين السوريين بوجه عام .

كانت سوريا تنظر عن قرب إلى توتر الأوضاع في الداخل العراقي ، والآن تنظر بعيون مفتوحة أكثر وأكبر نتيجة لرغبة الرئيس باراك أوباما ، في سيطرة السوريين على الحدود بين العراق وسوريا ، وعلى تبادل العلاقات بينهما ، أيضًا .

■ **الأردن :**

لم تشهد العلاقات الأردنية ـ السورية أي تقدم يذكر خلال الأعوام العشرة الماضية ، وإنما سادها فترات من التوتر ، وأحيانًا ، كان ينظر كل طرف إلى الأخر بالشك، أو يتوجس منه خيفة ، لكن كانت العلاقات في مجملها علاقات سلبية ، لان لكل دولة منهما معسكرها ، ومؤيديها في منطقة الشرق الأوسط .

■ **الفلسطينيون :**

في فترة ولاية الرئيس السوري السابق ، حافظ الأسد ، عمد الأسد على تقوية موقف ورؤية دمشق لجيرانها ، وحاول تقديم المساعدة للفلسطينيين قدر استطاعته، حيث اشترك في مؤتمر مدريد للسلام ، في عام ١٩٩١ ، مع الجانب الفلسطيني ، وحاول إقامة معاهدة سلام مع الإسرائيليين ، ولكن المحاولات باءت بالفشل، كما لم يمنع الرئيس الفلسطيني السابق ، ياسر عرفات، من زيارة دمشق !

احتضن الأسد الابن المنظمات الفلسطينية ، والتيارات المعارضة ، وكان مؤيدًا لأفكارهم ورؤاهم ، وبالتالي كانوا مؤيدين لسياساته، حتى أنه كان له تأثير ايجابي على حركة حماس ، وبقية الفصائل الفلسطينية الأخرى، وكذا المعارضة ، كما أن هذه المنظمات أو الفصائل معارضة للرئيس الحالي ، محمود عباس أبو مازن ، ولسياساته مع الطرفين الأمريكي ، والإسرائيلي ، فالإدارة الأمريكية ترغب في إقامة سلام بين الجانبين السوري

والإسرائيلي ، بجوار السلام الفلسطيني ـ الإسرائيلي، حتى إنه منذ منتصف العام الماضي ٢٠٠٨ ، تعزز موقف الأسد ، وبات يدير مباحثات غير مباشرة مع الجانب الإسرائيلي بوساطة تركية معروفة ، وان لم تنل موافقة الإدارة الأمريكية السابقة، لكنها استمرت حتى اندلاع الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة ، مطلع العام الجاري .

في سياق ذي صلة ، فان فرنسا ساركوزي تحاول أن تحتل المكانة الفارغة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، وتقوم بملء هذا الفراغ الذي تركته الإدارة الأمريكية السابقة ، فعمد ساركوزي على خروج الأسد ، والسوريين من الحصار المفروض عليهم ، وفتح لهم الأبواب أمام الاتحاد الأوربي ، وزار الأسد فرنسا ، حيث قدمت سوريا تنازلات في الشأن اللبناني الداخلي ، وثمة مفاوضات أو مقايضات بين الطرفين السوري والفرنسي ، حيال المحكمة الدولية الخاصة بالتحقيق في اغتيال الحريري .

تعتبر سنة ٢٠٠٩ ، سنة تحول استراتيجي لسوريا ، وسنة فاصلة في تاريخها الحديث ، لأنه في هذا العام جرت أو ستجرى وقائع مهمة ستترك الأثر البالغ على السوريين ، أهمها الحوار الأمريكي ـ الإيراني ، واحتمال تجديد مسار المفاوضات الإسرائيلية ـ العربية ، وخاصة المسار السوري منه ، رغم أن دمشق ترغب في تجديد العلاقات مع الإدارة الأمريكية الجديدة ، وتحسين هذه العلاقات بعد فترة فتور طويلة ، فضلاً عن تحول دمشق إلى قوة إقليمية ، أو على الأقل قوة عربية في المنطقة ، لكن مع حفاظ سوريا على كونها عضو أساسي ومركزي في محور الدول العربية ، والإسلامية الراديكالية ، وربما يشهد نهاية العام الحالي فك ارتباط العلاقة بين إيران وسوريا ، أو تخرج سوريا من العباءة الإيرانية ، أو الحلف الراديكالي ، أو تبقى قوية ضمن هذا الحلف الاستراتيجي ، أو الراديكالي .